المجلد07/ العدد01/ 2021. ص 188- 202

إشكالية الأدب التفاعلي وهويته الأجناسية

أ/ شافعي إلهام
جامعة باتنة -01-

مقدمة

مذ خُلق الإنسان وهو غير قادر على كبح جماح التفكير والتدبر في أسرار الوجود المتشابكة، فعمل دوما على تفسير ما يسكن ذهنه ووجدانه، كما سعى إلى كسر الحواجز التي تعيق تحركاته، هنا كان الإنسان يخط خطواته الأولى نحو السمو.. راسما خطا تصاعديا في فهم الوجود، بدءا من التفكير المادي لمحيطه، إلى عصر الحجارة ،ومن اعتماد الصيد وجلود الحيوانات، إلى اكتشاف النار، ومن تفكيره الخرافي المتافيزيقي ، سعى إلى الفلسفة كترياق احياء الوجود، فانتعش فكره وتطورت معرفته.

في خضم كل ذلك، بدأ ذوق الإنسان يرتقي، وبدأ ابداعه ينمو شيئا فشيئا، فدخل عوالم كل جديد، ليعطي هوية جديدة لمحيطه بشكل أكثر جمالا وفنية، متخذا من الأصوات أنغاما وألحانا تعزف أحلى سنفونية، وبدأت أناملة المبدعة تخط بريشة الرسام حياة مكتظة بصخب الألوان الصارخة، واتخذ من أبجدية الحرف طريقا جديدة للغوص في عوالم الذات طارقة مواطن البوح، كاشفة عما يخالج يخالجها دون ستار معتم. هنا اكتمل حس الابداع بتزاوج الفنون: (الموسيقى، الرسم، الكتابة) مبشرا بمولود جديد، من نوع آخر، هو أدب العصر أدب هجين كثمرة تلاقح الفنون ببعضها البعض.

- فما حقيقة هذا المنجز الأدبي؟ وما أضافت له التكنولوجيا الرقمية؟
- هل بروز هذا النوع من الأدب ، يُلغي الصيغ التقليدية للإبداع؟
- هل يمكن أن يكون هذا المنجز الرقمي بديلا لمَ ألفته ذائقتنا أو على الأقل يضاهيها أو يدانيها؟ وهل يصلح أن يكون معبرا عن الأمة وهمومها؟
-هل يتطلب هذا الأدب نمطا جديدا من التفاعل سواء في انتاجه أو تلقيه؟

كل هذه الأسئلة ستكون محورا هذه المداخلة بعنوان: إشكالية الأدب التفاعلي و هويته الأجناسية. والتي تسعى لكشف حقيقة هذا الادب مبرزة ماهيته وألياته، والأجناس المتماهية في ابداعاته.

الكلمات المفتاحية: الادب التكنولوجي/ الترابطي/ الرقمي/ التفاعلي، الرسم، الموسيقى، الحركة ،اللون، الكلمة ، الشاشة.

ماهية الأدب الرقمي "التفاعلي"

شهد الأدب منذ سنة [1] 1986 ثورة رقمية تزامنت وبدايات النشر الالكتروني، الذي أدخل الآليات المعلوماتية في النص الأدبي وتركيبه، فَكُنّي هذا الأدب بمسميات عديدة: « الأدب التفاعلي - الرقمي - الأدب الالكتروني، ...» وأطلقت عليه العديد من التسميات المرتبطة بالوسائط التكنولوجية.

إن الأدب الرقمي جنس جديد له خصائصه الكتابية والقرائية، وله أشكاله الأدبية، فهو أدب مغاير في إنتاجه وتقديمه عن الأدب التقليدي، لم يكن ليظهر لولا تطور الوسائط التكنولوجية، فهو: « جنس أدبي جديد تخلّق في رحم التقنية، قوامه التفاعل والترابط، يستثمر إمكانات التكنولوجية الحديثة، ويشتغل على تقنية النص المترابط (HyperText)

[1] السيد نجم: قراءة في واقع منتج النص الرقمي في العالم العربي، مجلة العربي الحر، على الرابط: www.freearabia.com

ويوظف مختلف أشكال الوسائط المتعددة[1] «(Hypermédia) ، فهذا الأدب لا يكتفي بلغة واحدة بل يسعى إلى تقديمه عبر الوسائط التعبيرية، كالصوت والصورة والحركة وغيرها.

يعرفه سعيد يقطين بأنه: « مجموعة من الإبداعات التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة من قبل أو تطورت من أشكال قديمة ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورًا جديدة في الإنتاج والتلقي»[2].

ويعرف أيضا: « بأنه الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة بتقنياتها العالية والمتشبعة (HyperText) ، وهذه المعطيات تقدم لنا جنسا أدبيا جديدا يجمع الأدبية والالكترونية »[3]، وهو أدب مغاير خلقت معالمه التكنولوجيا بوسائلها المتعددة، إلا أنه جمع في بوتقته المميزات الأدبية والالكترونية معا، وبما أنه يتم وفق علاقة وظيفية مع التكنولوجية فلا شك « أنه يقترح رؤى جديدة في إدراك العالم كما أنه يعبر على حالة انتقالية لمعنى الوجود ولمنطق التفكير»[4]، لأنه يعبر عن الانتقال من ثقافة المطبوع إلى ثقافة الالكتروني مقترنا تاريخه بتاريخ التكنولوجيا « فهو لا يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الالكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى للمتلقين مساحة تُعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص »[5] وهذا يعني أن المبدع والمتلقي متمكنان من استخدام الحاسوب بمهارة والقدرة على فهم برامجه، دون الشعور بحواجز نفسية على الأقل بينهما وبين الوسيط الذي ينقل عبره المبدع إبداعه إلى التلقي، ويتلقى هذا الأخير الرسالة بنفس الوسيلة (الوسيط).

وهنا تنشأ التفاعلية كشرط أساسي لهذا النوع من الأدب، فلا يكون الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى للمتلقي مساحة كافية للتفاعل مع النص من خلال تعديله.

ونجد أن سعيد يقطين يوضح أن الأدب الرقمي يعد استهلالا لتجارب حديثة، بتوظيفه للوسائط الحاسوبية، وسبيلا للممارسات الإنسانية، لكونه يتعدى إلى العلامات غير اللفظية في إبداعه وتلقيه، معتبرا أساس هذا الأدب هو: « النصية » وقوّامه هو: « الترابطية »، التي تؤثر من خلال الوسائط التكنولوجية المتعددة[6].

يركز عبد النور إدريس على التفاعلية في الأدب الرقمي، ويسلط الضوء على فاعلية القارئ باعتبار أن: « النص الرقمي وهو يخلخل النظرية الأدبية يُرجع فاعليته الأدبية إلى المتلقي المتفاعل (المستهلك - المنتج)، الذي ينزاح عن المركز ليقيم في الهامش بدون مرجعية، حيث يستطيع الهامش أن يرتبط بالمركز فقط من أجل إضعاف سلطته والتقليل من هيمنة أدواته »[7]، إلا أن هذه النظرة فيها إجحاف نوعا ما، لأن المتلقي والمبدع في الأدب الرقمي يتراوح تمركزهما بين الهامش والمركز معا على حسب موقفها وتعاملهما مع الإبداع، وهذا ما توضحه الدكتورة صفية علية :« حيث يتصدران مواقع المركز والهامش، وتخولهما هذه المرجعيات إلى تبادل هذه المواقع فيها بينهما وفقا للوضعيات الافتراضية التي يتخذانها معا »[8].

---

[1] عمر زرفاوي: الكتابة الزرقاء(مدخل إلى الأدب التفاعلي)، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ع 56، أكتوبر2003، ص194

[2] سعيد يقطين:من النص إلى النص المترابط(مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2008، ص63

[3] هويدا صالح: أدب تفاعلي أم أدب تشعبي؟! مجلة الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية للنشر، الجوف، السعودية،ع27، ربيع2010، ص106

[4] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006،ص 112

[5] المرجع نفسه:ص49

[6] ينظر: سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية(نحو كتابة عربية رقمية)،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،ط2002،3،ص192

[7] عبد النور ادريس: الثقافة الرقمية(من تجليات الفجوة الرقمية إلى الأدبية الإلكترونية)،سلسلة دفاتر الاختلاف،مكناس، المغرب، ط1، 2011،ص6

[8] صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب واللغة العربية، تخصص شعر حديث ومعاصر،جامعة محمد خيضر، بسكرة،الجزائر،2014،ص42

ماهية التفاعلية:

لقد شاع في الآونة الأخيرة بعد الثورة التكنولوجية الهائلة مصطلح جديد هو الأدب التفاعلي interactive littérature"وهذا الأدب الذي يقدم نصا مفتوحا، نصا بلا حدود، بحيث للمبدع إمكانية خلق نص من إبداعه الخاص، وطرحه في الشبكة العنكبوتية، ليترك للمتلقي حرية استقباله والدخول إليه والتصرف فيه، ليصبح القارئ مشاركا أساسيا في إكمال النص وإنتاجه أيضا، وهنا يكمن جوهر التفاعلية، هذه الصفة التي لزمت هذا النوع من الأدب.

-فماذا نقصد بالتفاعلية؟ وكيف تتجسد؟

أولا: التفاعلية« Interactive »

إن التفاعل هو عملية الاستجابة المتبادلة التي تتحقق بين الإمكانات المقترحة في ميدان معين - الإعلام مثلا - وما يوافق ذلك من ردود الفعل على مستوى التلقي[1] ، ومع ظهور النشر الالكتروني، أصبح المتلقي قادرا على الاستفادة من النصوص والتفاعل معها بطريقة مختلفة، وهو تفاعل يقوم على الوسيط، يتجلى من خلال المستخدم مع الحاسوب.

التفاعلية « Interactive » كلمة ذات أصل لاتيني مركبة من كلمتين:

- « Inter »وتعني: بين أو ما بين.
- ومن كلمة « Activus » وتفيد الممارسة في مقابل النظرية[2] وعليه ، فعندما يترجم مصطلح التفاعلية" L'interactivité " من اللاتينية يكون ذو معنى ممارسة بين اثنين، وتفاعل وتبادل بينهما في موضوع ما، فمعناها يكمن في التفاعل والتبادل، الذي يتم من خلال اتصال بين شخصين.

أما التفاعلية وارتباطها بالوسيط، فهذا حديث العهد نسبيا، ووليد العلاقات بين الناس والآلات

يعرفها سعيد يقطين حينما يتحدث عن التفاعل فيقول:« يعتبر في الإعلاميات بمثابة عملية التبادل أو الاستجابة المزدوجة التي تتحقق بين الإمكانات التي يقدمها الإعلامياتي للمستعمل والعكس»[3] ، أي العلاقة التي تنتج من خلال التواصل بين شخصين ويضيف: « هناك معنى آخر للتفاعل أعم، وهو ما يتمثل في العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة التي تفيده ، وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية التي يقوم بها القارئ للكتاب المطبوع»[4] .

وهذا يتجلى من خلال تعاطي المتلقي مع الإبداع، والانتقال من صفة لأخرى بواسطة الأيقونة التي تتحد وفق الجهاز، كما يفتح له الجهاز خيارات مختلفة ومتعددة للتفاعل مع الإبداع وتشكيله بالطريقة التي تروق للمتلقي، معتمدا على الخيارات التي تتبعها البرمجيات المعتمدة في ذلك الإنتاج.

---

[1] ينظر عادل نذير: عصر الوسيط(أبجدية الأيقونة)– دراسة في الأدب التفاعلي الرقمي– كتاب ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص69

[2] ينظر خالد زعوم، السعيد بومعيزة: التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، تونس، ع61،ط1، 2007، ص26

[3] سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط(مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، ص9–10

[4] المرجع نفسه،ص256

ويعرفها إدريس بلمليح : « أن التفاعل عملية تواصلية تتم في المستوى الفني بين نص قادرا على أن يستوعب قارئه، وقارئ قادر على أن يستوعب هذا النص، وتلك مسألة لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود مبدع كبير أو نص فني متميز ومدهش»[1].

ومن خلال هذا، فالتفاعلية لا تتجسد فقط في النص المنقول عبر الشبكة، وإنما هي مرتبطة بكل مستويات الإرسال الفني، كونه يهدف إلى تحقيق التواصل الاجتماعي.

فالتفاعل سمة مطلوبة بين المبدع والحياة، وكذا بين المتلقي وما يتلقاه لتنتج لنا نصوص إبداعية تفاعلية.

إن الحديث عن التفاعلية، يبرز علاقة المتلقي بالإبداع ومدى مشاركته في النص، من خلال حرية الانتقال والتصرف بين العقد والروابط، بوصفها الدوال التقنية التي يتفاعل بها مع النص، هذه الوسائط تقدم دعما للمتلقي الذي يتفاعل مع هذه النصوص التي يندمج فيها المرئي والمسموع والمقروء، ويعيد تشكيل المشاهد المختلفة وفق ما تطرحه هذه الوسائط المتعددة من خيارات عديدة، وهذا التفاعل لا بد أن يقترن بثقافة ومعرفة المستخدم، وكذا كفاءته العلمية والعملية في التعامل مع جهاز الحاسوب[2].

لذا باتت « التفاعلية » مطلبا مهما في الحياة الأدبية التي يمتزج فيها الأدب مع التكنولوجيا، لأنها: « توفر أجواء تلقٍ لا تقوم على الاستقبال فقط، بل التفاعل الحي بين منتج النص والمتلقي، من خلال آلية التلقي عبر استعمال الحاسوب، ليجري التفاعل مع الشكل الرقمي للنص الأدبي بوصفه قناة للتعبير عن بوح الذات»[3]

وهذا معناه أن التفاعلية لم تنشئ فقط من اقتران الأدب بالتكنولوجيا، وإنما نشأت من مقدار « تفاعل المستخدمين، وقدرتهم على الإضافة، و التعديل، أو اختيار الطريقة الخاصة في القراءة والفهم والتفسير»[4] ، أي التفاعل الايجابي مع الحاسوب وفق متطلباته التي يفرضها على المستخدم، الذي عليه أن يكون على دراية بعالمه، والتفاعل مع الإبداع النصي وفق متطلباته.

ثانيا: التفاعلية الموضوعية:

من خلال ما تقدم لابد الإشارة إلى التفاعلية الموضوعية، إذا ما انطلقنا على أساس الوسيط الخاص الحاضن لهذه النصوص التفاعلية الرقمية، وهذا ما وضعه عادل نذير، وهي[5] :

1. التفاعلية الموضوعية:

وهي التفاعلية الملازمة للمتلقي إزاء النصوص التفاعلية المنجزة في الفضاء الشبكي، وتتجلى في الأصناف التالية:

أ. التفاعلية العمودية:

وهي التي من خلالها يتم مراقبة أداء المتلقي وقدرته على التفاعل مع المشهد التفاعلي مع ما تفرضه العقد والروابط من خيارات نفسية مطروحة، وكيف يتفاعل معها المتلقي ليُنشئ ويبني مشهدا جديدا.

ب. التفاعلية الأفقية:

وهي انتقال المتلقي بين روابط النص وعقده، دون التصرف في المشاهد التفاعلية، مثلا يقدم ويؤخر في تنقلاته دون الإضافة.

ج. التفاعلية المزدوجة:

---

[1] إدريس بلمليح: القراءة التفاعلية(دراسات للنصوص شعرية حديثة)،دار توبقال للنشر، المغرب، ط1،2000،ص6

[2] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص66

[3] أمجد حمد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي: كتاب ناشرون، لبنان، ط1،2010،ص33

[4] عادل نذير: عصر الوسيط- أبجدية الأيقونة-،ص72

[5] ينظر: المرجع نفسه،ص72،ص73

هي النوع الذي تقاس به أعلى مستويات حرفية المتلقي، ومهارته، وقدرته على القراءة الخلاّقة، كون المتلقي يستخدم فيها كل الخيارات التقنية المرافقة للنص، وكذا الخيارات الأساسية في الوسيط، ليتمكن من خلق نص آخر زحم النص الأول، ما يحقق مقولة موت المؤلف[1].

د. التفاعلية الذاتية:

وهي مدى تماهي: « المقروء والمسموع والمرئي » في المشهد التفاعلي من خلال العقد، وهي المسؤولة على الانطباع الأولي للمتلقي، الذي ينطلق منه لإعادة إنتاج النص أو المشاركة.

وفي ضوء هذا البعد، التفاعل يتجلى معنى التفاعل الكيمائي المقترح في أحد المعاجم وهو : « أن تؤثر مادة في مادة أخرى، فتغير تركيبها الكيميائي، أو تغيير كميائي يحدث في المادة بتأثير الحرارة، أو الكهرباء أو نحوهما»[2].

والتفاعلية الذاتية هي الأداء التقني والفني للمبدع، أو المصمم، وطبيعة الخيارات التقنية المتروكة للمتلقي بغية استدراجه لدائرة التفاعل والمشاركة.

خصائص النص الرقمي:

إن النص الرقمي والنص الورقي، يشتركان في العديد من الخصائص التي تتمثل في الانفتاح والتعدد الدلالي، والقرائي، التناص، لكن المترابط يتميز عن الورقي في نقاط عديدة. تـوردها « لبيبة خمار » كما يلي[3] :

- اللاخطية: إن الوحدات المشكلة للنص الرقمي لا ترتابط فيما بينها بشكل خطي، وإنّما بشكل شبكي، لأن الخطية تعني « السير من مكان إلى أخر وفق مسار محدد سلفا والمضي قدما صوب نهاية أو خاتمة، ذروة أو أوج مركز »[4]،فهي بهذا تحد من الحرية التي ينعم بها القارئ، « هذه الوحدات تشبه الفقرات، لكنها قد تكون عبارة عن كلمة أو صورة، أو مجموعة وثائق معقدة بمجموعة روابط »[5]،هذه الخصوصية في اللاّخطية متبوعة بخصوصية في القراءة، حيث لا تتم هي الأخرى بشكل خطي، إنما تنتقل من شذرة لأخرى، بإضافة عقد وإزالتها.
- ديناميكية القراءة: بحيث تعتمد قراءة النص الرقمي على العلامات المتمظهرة في النص ونميزها في
  - أ. العلامة التي تقود القارئ نحو عناصر بعينها(محددة).
  - ب. العلامة التي تُقدم اقتراحات لإمكانيات مختلفة تسمح بالاستمرار في العملية القرائية.

داخل النص الرقمي تتمظهر لنا ثنائية الثابت والديناميكي، لاحتوائه على وحدات ثابتة لا تظهر كعلامات قابلة للتنشيط، فلا تعتبر ظلا لأي رابط مادي مسجل داخل النص بقدر ارتباطه بمكوناته كمكونات الجملة، خلافا للوحدات الدينامية التي يمكن تنشيطها والتي تسمح بالانتقال من مستوى ومحتوى نصي أخر.

تجسد ديناميكية القراءة في العملية التفاعلية « دينامية البناء »، إذ لا يمكن إبراز الخصائص النصية إلا حينما يتمكن المتلقي من كشفها وفق قدراته القرائية.

---

[1] عادل نذير: عصر الوسيط- أبجدية الأيقونة- ، ص73

[2] المرجع نفسه:ص73

[3] لبيبة خمار: دراسات في النص والنص المترابطمن النصية إلى التفاعلية، ينظر الموقع: www.djelfa.info/vb/shouthread.php

[4] أندراسكابانيوس: النص التشعبي(امكان القراءة الثلاثية الأبعاد) النقد الأدبي على مشارف القرن الواحد والعشرين، العولمة والنظرية الأدبية، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر2000، ص ص 335-336

[5] لبيبة خمار: دراسات في النص والنص المترابط – من النصية إلى التفاعلية.

- البعد اللعبي: في النص الرقمي يسيطر اللعب، فالقارئ يهتم بالشكل أكثر « ثقافة الظاهر» وهذا من خلال الإمكانات البصرية والصوتية وبالبعد التكنولوجي للوسيط الحاسوبي، تقِل معه القراءات المتخصصة للنص، فالقارئ يظل أسيرا لهذا النوع الترابطي، فلا يغادر السطح للتسلل إلى الخارج، ولكن هذا لا يلغي اللعب الحقيقي الذي يَنتج عن دمج الكتابة والقراءة في الممارسة نفسها ليصبح فضاء النص فضاء افتتان[1].
- ثلاثية الأبعاد: وتعود هذه الخاصية إلى طبيعة النص الإلكتروني المؤلف من ثلاث وحدات: الكتابة، العرض، التصفح و الاطلاع، رغم تداخل هذه الخصائص إلا أنها مستقلة عن بعضها، وبتفاعلها تتشكل« الوحدة الدلالية للنص المترابط».
- اللامادية: قراءة النص على شاشة الحاسوب تحرم القارئ من الجانب المادي الملموس الذي يحققه الكتاب، أما النص على الشاشة فهو نص هجين يتمتع بازدواجية البنية حيث يجمع بين البنية اللسانية والبنية المعلوماتية [2].
- غياب النهاية: يتميز النص الرقمي بغياب النهاية الكلاسيكية المتعارف عليها في النصوص الورقية، فمتى توقف القارئ فتلك النهاية، ومن أين بدأ تلك البداية، وانعدام هذه الخاصية يعود إلى أن النص الرقمي عبارة عن متاهة ذات مسارات متعددة.
- الشكل المتاهي: يكمن الشكل المتاهي من تسمية بيت العنكبوت على الشبكة المعلوماتية حيث يقول ميشال فوكو « المتاهة ليست المكان الذي نتيه فيه وإنما المكان الذي نُخرج منه التائهين »[3]، فالنص المترابط يمتلك شكلا دائريا لا نهائي. فالقارئ مهما ظن أنّه وصل إلى المركز تلاشى هذا المركز.
- التركيز على الكلمة : يرتكز النص المترابط على الكلمة ذات المحتوى الإخباري′ فهي علامة لغوية، ولكنها أيضا زر معلوماتي.
- التقطيع : يعوض التتابع والتواتر في النصوص الورقية، بالانقطاع في النصوص الرقمية ليُسهل عزل عينة من النص وقراءتها دون التأثير على وحدة البناء أو المعاني الخاصة بهذه النصوص المترابطة التي تميزها الاستقلالية[4].

تداخل الفنون في تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق لمشتاق عباس معن

" تباريح رقمية لسيرة بعضها أرزق" متمكنة من آليات الكمبيوتر في عرض الصورة وإيقاظها فوتوغرافيا وموسيقيا ومعنويا داخل الجملة، إذ مالت المجموعة إلى استخدام مزاوجة فذة بين الموسيقى والكلمة، وبعض قدرات الفن البصري.

في هذه المجموعة نجد اشتغالا رصينا في تأسيس بنية النّص خلافا للمتوقع والسائد، حيث يجد القارئ اتساعا كبيرا في أفقه التأملي، هي بنية تحتفظ بسرّ صناعة تأويلات كثيرة، اعتمادًا على آليات التأويل الحديثة، فيمكن للمتلقي أن يختار بوابة نصه التي من شأنها أن تسهم بتغيير التأويل بنسب مختلفة، أي أن الشاعر جعل القارئ محورًا مُهمًا في إعادة إنتاج النص، وإنتاج تأويله أيضا، إذ لا يمكن لقارئين الوصول إلى رؤية واحدة ومعان محددة متطابقة، حال الانتهاء من قراءة المجموعة[5].

ولقد أجاد الشاعر مشتاق عباس معن في خلق علاقات مهمة بين أكثر من ستين نص داخل هذا العمل الشعري الهّام والغريب عن واقع الثقافة العربية إلى حدٍ بعيد.

---

[1] عمر زرفاوي: الكتابة الزرقاء (مدخل إلى الأدب التفاعلي)،ص168

[2] ينظر: صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة، ص، 61

[3] صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة،ص61

[4] لبيبة خمار: دراسات في النص والنص المترابط – من النصية إلى التفاعلية-

[5] ينظر: صلاح السيلاوي :لمحة عن تباريح رقمية، ندوة الاتحاد العام للكتاب والأدباء، بغداد، 2008/12/14، ص73-74

الشيء المميز في هذا المنجز الشعري، هو أن الحرية الواسعة للقارئ في اختيار نصه كمداخل ومخارج لا تفسد العمل أو تجعل القارئ يشك بخلل ما، أو غموض غير مقبول، إن هذا العمل الإبداعي انجاز مهم للمنظومة الثقافية العربية ، إذا أن بنيته الأساسية ترتكز على قدرة مبدعه في تخيل إمكانية القارئ لكيفية تلقيه، وإعادة تأويله، إذ أن البنية المذكورة تسمح للقارئ بالتخلص من سلطة الشاعر ليشاركه في بناء اختياراته الشعرية ضمن النظام العام للنص. فالمتلقي بعد قراءته تحدث عملية تحول في إبداع النص، من فردي إلى جماعي وفي هذا التحول سنكون عرضة لأن نتشعب ونتشتت وندخل في التيه، فعندما يكون النص مجالا لرؤى مختلفة وتعبيرا عن أرواح عديدة تنفتح دلالته ولا تلبث إلا في الانفتاح والتحور من قراءة لأخرى وهذا ما يحصل مع التباريح.

ما ان يفتح المتلقي نصه الموجود على قرص أو على الموقع التفاعلي الرقمي الخاص بمشتاق عباس معن والذي يعرض عليه إبداعه تظهر الواجهة للمتلقي، فيجد هذا الأخير نفسه أمام طريقتين للولوج إلى النصوص، فالأول هو الخط العمودي إلى اليمين، ممثلا بأيقونتين تحملان كلتاهما: [اضغط فوق ضلوع البوح]، وكل منهما تحمل المتلقي إلى خيار شعري يتمتع ببوح خاص، عبر مقطع شعري. يتم الوصول إلى الواجهة التي تظهره عبر النقر على إحدى الأيقونتين، غير أن النص القادم ليس بالضرورة هو الأخير، فهو يحيل على نصوص أخرى بما يظهر للمتلقي من أيقونات معنونة أنشئت على وفق ما هو متوقع من المتلقي من انفعالاته تجاه النص السابق، أما الطريق العمودي في الواجهة الرئيسية فيتضمن خمس أيقونات بصف عمودية كُتب عليها بالتسلسل: [أيقنت، أن، الحنظل موت، يتخثر]، وحين يمرر مؤشر الحاسوب على إحداها تطلعه تلقائيا على امتداد الكلمة النصي، ومجموع الكلمات عبارة عن نص، وكل منها رأس لنص شعري آخر، يعبر عن هواجسه ويجيب عن أسئلته المفترضة، بحسب انفعاله المتوقع لتحقيق التفاعل معه عبر تسطير رقمي تقني.

إن الشاعر كما أختار تقنية النصوص المتوالدة، اختار أيضا شعرية اللون: (ألوان الخلفيات، ألوان الحروف، ألوان اللوحات، ...)، وشعرية الصوت: (الأناشيد، معزوفات موسيقية)، وشعرية الكتل الناطقة (الأيقونات، المنحوتات، الخزفيات، ...)، كما وظف شعرية المفارقة (الشريط الإعلاني المتحرك).

إن هذه القصيدة التفاعلية تحتفظ بلسان موّحد للنص المكتوب، وهو اللسان العربي المبيّن، وإن كانت المؤثرات السمعية والبصرية المنتقاة هي عالمية في إبداعها ونشأتها، فإن عالميتها تستند إلى مشتركات إنسانية ثقافية متداولة عالميا، تسمح لنفسها بالحضور الحي المتفاعل، حيث يجد المتلقي نفسه متفاعلا معها مندمجا في جوها، وكل ما عليه هو أن ينقر على إيقونة يختارها، لكي يجد تواصلا شعريا بينه وبين الشاعر، يقوم المتلقي بتتبعه دفقة بعد أخرى، حيث ينتهي بأن يختار نهاية القصيدة بنفسه[1] .

مكونات القصيدة التفاعلية

لا تقف قراءة القصيدة التفاعلية عند المكون النصي الخطي فحسب، إنّما يتم ذلك من خلال فهم المكونات التكنولوجية الأخرى المتداخلة في بناء النص والمؤثرة أشد التأثير في إنتاج المعنى الشعري، والنص التفاعلي يتفاعل مع مكوناته المتعددة، منها ما يتصل بالتشكيل الصوري من رسوم ولوحات وخطوط، ومنها ما يخص الصوت إلقاء وأداء وتعبيرا، ملتزما بالثوابت الفنية ومجددا بحسب الأسلوب، ومنها ما يخص اللون في حركته وأبعاده جزءا من التشكيل التصويري أو مستقلا في فضاء الشاشة، ومنها ما يخص الحركة، فالكلمة في الشاشة ليست مستقرة، وكذا الألوان والصور والأصوات والروابط التشعبية، فالحركة هي حيوية مكونات الإبداع، وأبرز مكونات القصيدة التفاعلية تكنولوجيًا هي: الكلمة، الصورة، الصوت، اللون، الحركة، الروابط التشعبية، وفضاء الشاشة، وكما سلف الذكر، فهذا

[1] ينظر: سلام محمد البناي: الشعر التفاعلي الرقمي، الريادة والاحتفاء، كلية التربية جامعة كربلاء:2007/11/25، سلسلة تباريح1، ص54

النوع الأدبي يتم استقباله من خلال الوسائط المتعددة التي يوفرها جهاز الحاسوب، « فالحاسوب هو الوسيلة الوحيدة لتلقي هذا الأدب التفاعلي، مما يتطلب خبرة عملية في مجال البرمجة الرقمية، وتنوعا في أساليب عرض الوجهات، وطرق تسلسل الإيقونات»[1]

فهذا الأدب يبرز من خلال الوسائط الالكترونية، حيث يتميز هذا النوع من الأدب في تكوينه بتداخل عناصره المتنوعة وتداخل الفنون المختلفة بعضها مع بعض وكذلك: « المؤثرات السمعية والمرئية، فضلا عن دقة الاختيار فيما يتعلق بالكتل اللونية، كاللوحات المنحوتة، والخزفيات، وغيرها من النتاجات الفنية »[2]،لذا فالقصة التفاعلية لا توجد فعلا إلا من خلال وسيطها الالكتروني، كونه هو من يحدد معالمها وخصوصيتها، ومكوناتها كالأتي:

الكلمـة:

مكون لا غنى عنه في القصيدة التفاعلية، ويختلف حضورها في القصيدة الورقية عن القصيدة التفاعلية، « فالقصيدة تصدر في صورتها المألوفة عن وعي الشاعر الفني الجمالي في إعادة خلق الكلمة، وبث روح المغامرة والاختلاف والتميز فيها، أما القصيدة التفاعلية فتصدر عن الكلمة متفاعلة مع المكونات الأخرى، من إلقاء صوتي، وصور، ورسوم، وخطوط، وألوان، وحركات »[3]، هذه الخاصية تجعل قراءة وتأويل هذه الكلمة في مستويين اثنين: مستوى النص الخطي، ومستوى آخر غير منفصل عن الأول، وهو قراءة الكلمة في سياقها التعبيري، ضمن الوسيط الاليكتروني، فلا يمكن أن نتكلم عن أدب تفاعلي أو غير تفاعلي إلا حين تحضر الكلمة، إذ لا يوجد الأدب بعيدا عن الكلمة، حتى ولو اقترنت بعناصر أخرى، لأن أي عنصر آخر لا يمكن أن يستغني عن الكلمة، وإذا استطعنا الاستغناء عن كل العناصر الأخرى في الأدب فإننا لا يمكن أن نستغني عن الكلمة، لأنها هي الأساس[4] ، فما يسهم في إضفاء معنى جديد للكلمة هو سياقها الالكتروني بوسائطه المتعددة، بحيث يسهم وبشكل كبير في اكتساب الكلمة حسها الدلالي الجديد، ومنحها رؤى تأويلية جديدة من خلال صورها الفنية، فتركيب الكلمة هنا ودلالته لا تتم إلا من خلال الروابط التشعبية وفضاء الشاشة، وكذا التركيبة الخطية لما جاورها من كلمات، وتجعل بنائها « موصول بما رسمه الشاعر بواسطة فعالية الأيقونات والروابط والعقد والإمكانات الأخرى التي يتيحها الوسيط الالكتروني، لأن الكلمة لديه تبث المعنى انطلاقا منه وبواسطته، فهو نبض سياقها وجهات معانيها »[5].

وحينما يدرك الشاعر ذلك ويستوعب هذه الخاصية، هنا تتحقق رقمية النص - الإبداع - فيتمكن المتلقي من قراءة هذا المعجم الشعري بوعي مختلف عن الوعي السابق، ولعل المنهج السيمائي واحد من المناهج الفاعلة في الكشف والتأويل بين يدي القصيدة التفاعلية : « ولعل أكثر النظريات اتساقا مع تطبيقات الأدب التفاعلي هي نظريات القراءة، والتلقي، ونقد استجابة القارئ، كما نجد المقولات باختين عن الحوارية و(جوليا كرسيتيفا) عن التناص، صدى طيبا في تطبيقات هذا الجنس الأدبي الالكتروني الجديد»[6]

وفي تجربة تباريح رقمية يقرأ معجم النص قراءة سيمائية، بدءًا من العنوان الذي يوحي لنا بهذا فـ« رقمية » هي نكرة معرفة بالوصف، ولا يمكن الوصول إلى معناها إلا من خلال ما يكشف عنه فضاء الشبكة الرقمي، وفي (سيرة بعضها أزرق) لا تستقر إلى معنى سيرة إلا بالوصف السببي (بعضها أزرق)، وهذا ما يحيل إلى من يحسن معرفة علم الحاسوب

[1] امجد حمد التميمي: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، مطبعة الزوراء، ط1، بغداد، 2009،ص115

[2] المرجع نفسه: ص115

[3] رحمن غركان : القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية- تنظير واجراء-،دار الينابيع،ستوكهولم،ط1، 2010،ص 74

[4] فاطمة البريكي: الكتابة والتكنولوجيا، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط1، 2008، ص128

[5] رحمن غركان: القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية- تنظير و اجراء- ص 76

[6] فاطمة البريكي: مدخل ألى الأدب التفاعلي، ص 144-145

إلى المعنى الفني، كهذه الحلة الشعرية مع اللون الأزرق موصول بشاشة الحاسوب، صلة استقرار وشيوع لافت، بمعنى أن التجربة لا تفهم إلا عن طريق الإحاطة بتقنيات الحاسوب وأوليات الأدب التفاعلي[1] .

فاللكلمات كيمياء خاصة، كما يذهب رامبو، والكلمة يمكن أن توحي بالصورة والإيقاع، والملمس، والطعم، والرائحة، واللون[2] . فمثلا كلمة زهرة توحي لنا بصورة الزهرة ورائحتها أيضا، كما توحي بلونها إذا ما اقترنت باسم يوضح لونها .

الصورة :

لقد بلغت تكنولوجيا الإعلام والاتصال ذروتها مع بشائر القرن الحادي والعشرين، وبات من الضروري حصر وقياس تأثيراتها، ونظرا لشموليتها وشيوعها

أصبح مصطلح « ثقافة الصورة » من المصطلحات الجديدة، نظرا لقدرتها على الإقناع، كما تميزت بتعزيزات بالصوت، واللون، والرسم، ثم الحركة.

تعريف الصورة: يُشتق المصطلح من كلمة لاتينية تعني محاكاة، حتى أنه في المجال السيكولوجي مترادفة مع التشابه، النسخ، إعادة الإنتاج، وفي العربية تعني: « هيئة الفعل »، « الأمر وصفته »[3] .

وإذا ما عدنا إلى التحولات في علاقة الصورة بحواملها، يمكننا أن نفهم جيدا تأثيرات الصورة « كمنتج الكتروني ذي خصوصية من حيث طرائق الإنتاج والحفظ والاسترجاع والتوظيف ،... الخ »[4].

لقد باتت الصورة الالكترونية تمارس نفوذها من خلال عمليات التصميم الفني، لا من حيث أساليب إنشاء تكوينات فنية مغايرة للثابت والمتعارف عليه، وإنما من حيث ممارسة ما أطلق عليه هنا « طقوس نفي اللوجوس »، اللوجوس بوصفه إشارة، علامة بصرية حاملة لدال أو دوال معرفية ذات صفة تقريرية مباشرة، غالبا ما تنحو منحى أخلاقيا أو أحكما قيمية، وذلك للمفاهيم المعاصرة للتصميم الفني.

وهنا تختلف الصورة في شكلها التقليدي بوسائطها التقليدية أيضا عن الصورة ذات الوسائط الالكترونية، بحيث كانت تفترض أن البشر موضوعات مدركة بسيطة، بينما يضع « اللوجوس » فنون الصورة الإلكترونية على أن الإنسان ليس فقط مدركا و حاسا، لكنه أيضا متصور و متخذ فعلا للممارسة. و بشكل أكثر وضوحا، فإن المعادلة هي كالتالي [5] :-

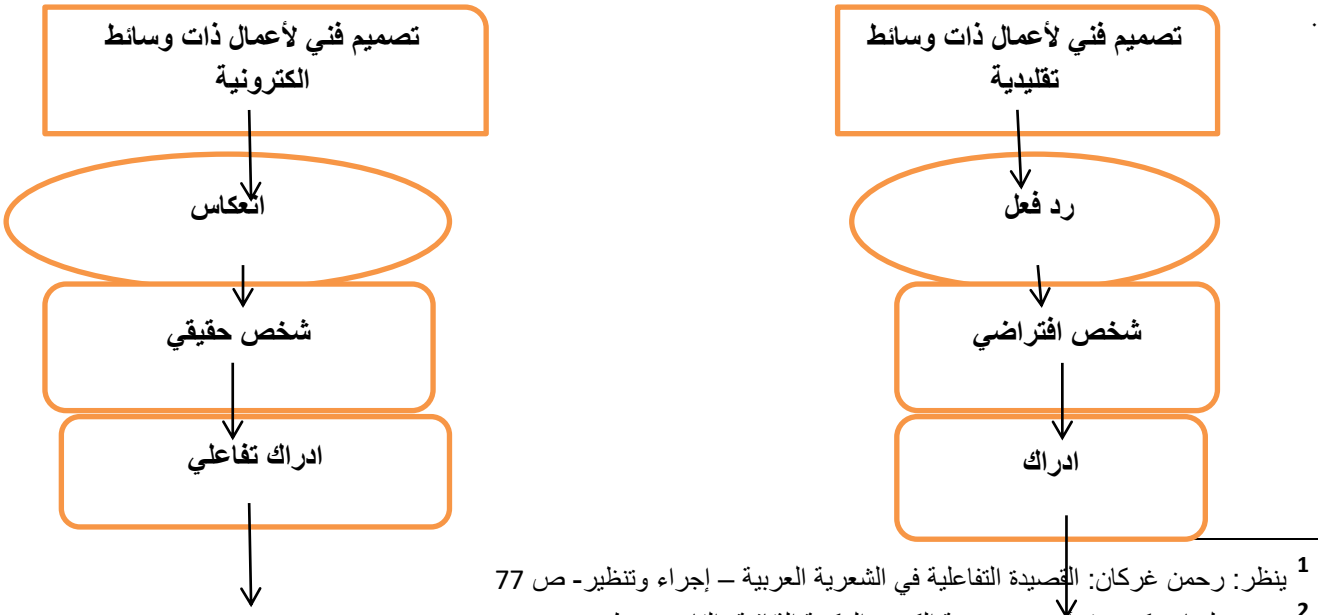

[1] ينظر: رحمن غركان: القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية – إجراء وتنظير- ص 77

[2] حسن سليمان: كيف نقرأ صورة، هيئة الكتب، المكتبة الثقافية، القاهرة، دط، 1970،ص24

[3] السيد نجم: الصورة وواقع الأدب الافتراضي ، على الرابط: /www.startimes.com

[4] ياسر المنجمي: الفنون في عصر الصورة الالكترونية، على الرابط :http ://yasserelmanjami.com

[5] نفس الرابط.

اتجاه احادي

إنفعال متعدد

إن القصيدة التفاعلية ترتكز على الصورة التي تتفاعل مع مكونات فضاء الشاشة وعناصر الأداء الشعري التفاعلي، في أبعاده الالكترونية المتطورة باستمرار، ولأن الصورة من أبرز المؤثرات على الأعمال باختلافها، حيث توضح ماهيتها وخصوصيتها، يقول الشاعر الأمريكي عزرا باوندا: « إن العمل الفني المثمر هو ذلك الذي يحتاج تفسيره إلى مائة عمل من جنس أدبي آخر، والعمل الذي يضم مجموعة مختارة من الصور، والرسومات، هو نواة مائة قصيدة»[1].

فقراءة القصيدة وتأمل اللوحة هو نوع من إعادة خلقها، وأن القصيدة والصورة يمكن أن يوحي كلتاهما بعدد من الدلالات بقدر ما يتاح لهما من قراءات، وهذا ما وضحه أرسطو منذ القديم: « الشاعر مُحاك مثله مثل المصور أو أي محاك آخر»[2] ومن الطبيعي أن تقوم بين الفنون علاقات متبادلة، وإن تكن كما قال شيشرون [106 ق.م -43 م] علاقات دقيقة رهيفة.

تبرز الصورة بوصفها التشكيلي في النصوص والقصائد التفاعلية على أشكال مختلفة، فقد تكون الصورة خلفية للنص الشعري، حيث تتصل بالشاشة بعيدا عن مجال الإبداع النصي، كما قد تكون الصورة فيه جزءا حيويا في خلق المعنى الشعري الذي يتفاعل مع المستوى الخطي ويكمله، كما نجدها بمثابة ترجمان المعنى الشعري لقطعة ما، تبوح به بمكنوناتها، وهنا تمكن المتلقي من قراءة النص، وتأمل الصورة، كما نجدها في موقع آخر حينما تشرك الصورة في أكثر من نص، كما في النصوص التي ترد في يسار الشاشة مع نصوص أخرى ترد على شكل شريط في أسفل الشاشة ضمن عنوان: « عاجل، أو لا داعي للعجلة، أو عاجل جدا، وما يجيء في سياقها التشكيلي »[3]، وفي هذه الصياغات يتم توظيف أكثر من نص « يتفاعل مع نص تصويري أو صورة أو تخطيط تشكيلي واحد، وهنا غالبا ما يوحي التصوير بأكثر من معنى، ينفتح على تأويل كثير، بما يجعل تفاعله مع أكثر من نص أمرًا واردًا فنيًا وتعبيريًا »[4] ، إذ تعبر الصورة عن نصوص مختلفة في سياق واحد.

إن ما يطمح إليه في الأدب التفاعلي - الرقمي، هو أن تتمتع خلفية كل مشهد بما لا يمكن الاستغناء عنه، ولا سيما الصور وفي ذلك الأمر إذ « أصل توظيف الصورة بوصفها عنصرا من عناصر النص التفاعلي، يجب أن يكون حضورها ضروريا وأساسيا للنص، أي أن تكون جزء من بنيته الأصلية لا يمكن الاستغناء عنها، وغياب الصورة لا بد أن يحدث خللا في النص، لأنها تغيب معها الجزء الخاص بها من المعنى »[5]، فالصورة في النص التفاعلي لها دور كبير جدا لا يمكن تجاهله، تجاهله، أو الاستغناء عنه، فالعلاقة « بين مختلف جوانب الصورة، أي بين الحسي والعقلي، بين المعرفي والإبداعي، إنما تعكس على نحو دقيق ومباشر نمط العلاقات بين الفرد والمجتمع في كل عصر»[6]، وأبعد من هذا فالصورة في النص التفاعلي تسهم بلا ريب في شد المتلقي وعزله عن المؤثرات الخارجية - سوى مؤثرات ذلك النص - على الشاشة، وعليه فقد تتمثل في الصورة الزخرف الأسلوبية المسؤولة عن تفعيل دور المتلقي وتنشيطه، فحين تمسح أعيننا صورة ما، لا نرى

[1] عبد الغفار مكاوي: قصيدة وصورة، الشعر والتصوير عبر العصور، مجلة عالم المعرفة،ع119، نوفمبر1987، ص11

[2] شكري محمد عياد: كتاب أرسطو طاليس في الشعر، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، 1967، ص21

[3] عادل نذير : عصر الوسيط – أبجدية الأيقونة- ،ص138-139

[4] رحمن غركان: القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية، ص 78

[5] فاطمة البريكي: المولود التفاعلي البكر وفرحة الانتظار، على الرابط www.middle-east.onlion.com

[6] ينظر: حسن سليمان: كيف تقرأ صورة، ص24

ألوانا وخطوطا فقط، بل نشم رائحة، ونسمع أصواتا تتفاعل في بوتقة الخلق لتصبح طاقة من الانفعال الذي يحدد لنا بدوره إيقاعا ونغما، ونتبعه بأعيننا على السطح المرسوم[1].

الصوت:

ذلك الاشتغال الفني الموحي بالتأثير الجمالي الباعث على تأمل النص عبر حاسة السمع وحاسة البصر، بل عبر تراسل الحواس لدى المتلقي، وليس من الصعب على الإنسان أن يربط لأول وهلة بين الشعر والموسيقى، وأن يحس بنفسه أن العلاقة المباشرة بينهما تمد جذورا في مفهوم الشعر نفسه، إذ يكتفي أن يتذكر أن الشعر لا ينفصل عن الوزن والإيقاع، والتنغيم، والإقناع، وأن « كلمة الشعر الغنائي نفسها في أصلها اليوناني قد جاءت من الآلة الموسيقية (ليرا)، التي كانت تصاحب الغناء، كما أن الشعر بقي مرتبطا بالغناء والعزف طوال العصر الأندلسي، وأغاني الطروبادور في البروفانس، والمنّي زانخ عند الجرمان، حتى أصبحت الموسيقى المحض عند الرمزيين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هي المثل الأعلى للشعراء »[2]، ويتم توظيف الصوت في الإبداع التفاعلي من خلال الإلقاء المباشر، والموسيقى المتفاعلة مع الإلقاء وأصوات ذات إيحاءات ودلالات تتصل بمعاني النص، يتم استثمار صلته التعبيرية بتجربة النص في معنى معين أو بإيحاء مقصود أو ممكن .

إن الصوت في القصيدة التفاعلية موازي للكلمة والصورة، قد يرد من خلال إلقاء الشاعر بشكل إنشادي، أو قد يرد نصا موسيقيا متفاعلا من النص الخطي، من أجل إثراء المعنى وتأويله، حتى يتمكن القارئ من فهم النص وتحريك دلالاته، ويبدع في إعادة إنتاجه من خلال التأويل المبدع مرة ثانية، « ومطالب شاعر القصيدة بأن يجتهد في استثمار كل الإيقاعات الصوتية، إستثمار نبض كل الأصوات من صوته الإنشادي إلى الموسيقى، إلى الأصوات التي تبثها الطبيعة من رعد، وخرير ماء، ونزول مطر، وهبوب ريح، وإيقاع ساعة، أو حركة سيارة أو طائرة ..»[3]. وهنا نجد "السمفونية المتوحشة" - كما أسماها صاحبها- حيث عاد إلى الطبيعة وأخذ من صوت الريح وحفيف الأشجارو زخات المطر وبعض أصوات الحيوانات، ومزج بينها بتدخل بسيط لآلاته الموسيقية، وأخرج لنا سمفونية رائعة لأنه يرى إيقاعات كونية. فلو رجعنا للشعر القديم لما وجدنا هذه الحرية للمبدع، أما الآن وكأن آلهات الفن التسع أصبحت آلهة واحدة، وكأن جميع الآلهة الأخرى أصبحت أفرادا في هذه الجوقة، ولم يعد هناك معيار للفن يقول لنا: هذا جائز وهذا غير جائز، وهنا يقتضي تعريفا جديدا للشعر وللفن فقد قال مريد لشيخه الصوفي: متى يأتي دوري؟ فأجابه: حين تفتح عينيك. وهذا فعلا ما حدث مع الشعر التفاعلي العربي بأنامل مشتاق عباس معن

فعلى الشعر أن يحسن توظيف الأصوات، ليكون توظيفا ثريا منسجما مع النص، متفاعلا مع مكوناته، مسهما في رفع سمة الأداء والتعبير، ليكون الصوت بحق مكونا رئيسا في القصيدة التفاعلية، كونه لغة أداء ومصدر إبداع، فالصوت « ليس مجرد خلفية مسموعة للنصوص التفاعلية، بل هو عنصر أساس فيها لا يمكن الاستغناء عنه إلا بالاستغناء عن جزء من المعنى الذي يقدمه هو، ولا يمكن أن يعوض عن غيابه عنصر آخر أو مكون مجاور »[4] .

لأن حاسة السمع ذات ذوق مرهف، قد لا يكون الشاعر مدهش الذوق في التعاطي معه، فيعمل على توظيفه أحيانا بشيء من الصنعة الاستعراضية، لذا وجب على الشاعر توظيف الصوت الذي يلاءم المتن والمعنى المراد، حتى لا يكون ديكورا خارجيا منمقا.

اللـون:

---

[1] عبد الغفار مكاوي: قصيدة وصورة – الشعر والتصوير عبر العصور، ص12

[2] المرجع نفسه.

[3] رحمن غركان: القصيدة التفاعلية الرقمية والشعرية العربية، ص131

[4] رحمن غركان: القصيدة التفاعلية الرقمية و الشعرية العربية، ص81

اللون هو جزء من العالم المحيط بنا، وهو يلازمنا في حياتنا، ويدخل في كل ما حولنا، ولعل الأدب كغيره من الفنون في حاجة إلى هذا الركن الأساسي في الحياة[1].

إن اللون في القصيدة التفاعلية مكون رئيس يتصل بالصورة، ولكنه ينفصل عنها حين يجتهد الشاعر في توظيفه فضاءً للنص، أو عمقا خلفيا للنص المكتوب، سواء أكان ساكنا أو متحركا على شاشة الحاسوب، فعلى الشاعر أن يتلاعب بهذه الخاصية المميزة ويحسن استغلالها جيدا في خضم إبداعه التفاعلي، على أن يكـون هذا التوظيف توظيفا واعيا يتـوافق مع الدلالة، « ليكون الشاعر موفقا في اختيار الألوان التي تستجيب لقدرة النص على التعبير، وإمكانية الصورة على الإيحاء بالمعنى الفني[2] » .

الحركة :

إن مصطلح القصيدة التفاعلية يستقي دلالاته من الحركية والديناميكية، كونه يوحي لنا بشبكة العلاقات المتداخلة بين مكونات النص من جهة، وبينها وبين المتلقي من جهة أخرى، فالتفاعلية كما سبق ذكره ترتكز على أربعة وظائف هي: « التأويل والإيجاز، والتشكيل، والكتابة »[3]، وكل وظيفة تضمر الحركة جزء فاعلا في كيفيات اشتغال النص، « فالتأويل صدور عن حركة المعنى، وانفتاحه على التأويل وتعدد القراءات والإبحار، صدور عن فاعلية النص التصويرية من جهة، ما يضمره من عمق فني مؤثر في متلقيه، وفاعلية المتلقي في الإفادة من التقنيات الاليكترونية، وما يتضمنه فضاء الشاشة من ممكنات تتيح للمتلقي أن يبحر قارئا ومنتجا في آن واحد.

أما التشكيل فهو صدور عن حركية النص من جهة تراكيبه النصية الخطية، ومن جهة بناءه، الذي حركته الروابط التشعبية من جهة أخرى.

أما الكتابة في القصيدة التفاعلية فممكنة من المتلقي، حيث تتيح له تقنيات الحاسوب أن يتحرك على فضاء الشاشة وفيه بالقراءة والإضافة، وتحريك مكونات الرص عبر العقد والروابط التشعبية بشكل تقني فني واعٍ[4]

إن الحركة في القصيدة التفاعلية تتضح من خلال مستويين اثنين هما [5]:

- الأول : الحركة الذاتية المضمرة في بنية النص الخطية، في حركية المعنى الشعري، كونه ينفعل بها، ويثرى بتجلياتها، ويتسع للتأويل بها، والمكون التصويري دال في هذا الاتجاه، وكاشف عن القصد، وكلما كان المتن النصي الخطي ثريا في مجازاته وانزياحاته، كانت حركته الذاتية لافتة للمتلقي.
- الثاني : ويقصد به ذلك التفاعل بين المكونات السبعة للقصيدة التفاعل: - الكلمة، الصورة، الصوت، اللون، الحركة، الروابط التشعبية، وفضاء الشاشة -، ومن هذه التقنيات التفاعلية نجد تقنية الظهور والاختفاء، فما أن تنقر على أيقونة جديدة حتى يختفي المحتوى السابق، « فهي تظهر لبرهة قصيرة توازي مدة قراءتها، لتختفي ولا تظهر مرة أخرى إلا بإعادة تمرير المؤشر على الكلمة التي تنطلق منها مرة أخرى »[6].

كما نجد أيضا تقنية النص المتحرك، وهي تقنية يوفرها الوسيط الاليكتروني وسرعان ما يتفاعل معها المتلقي، لأنها تذكره بالشريط الإخباري في القنوات الفضائية، وهو عبارة عن حاضن طولي لأخبار مقتضبة تمر سريعا عبر حزام يتلون بلون مميز يخترق أسفل الشاشة، أو أعلاها من اليسار إلى اليمين، وغالبا مايكون متصدرا

الروابط التشعبية :

---

[1] أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة،ط1997،2، ص13

[2] رحمن غركان: القصيدة التفاعلية الرقمية و الشعرية العربية، ص84

[3] عادل نذير: عصر الوسيط –ابجدية الأيقونة-، ص112

[4] ينظر: سعيد يقطين: من النص ألى النص المترابط(مدخل إل جاليات الابداع التفاعلي)، ص257-258

[5] ينظر: رجمن غركان: القصيدة التفاعلية الرقمية والشعرية العربية،ص86

[6] عادل نذير: عصر الوسيط- أبجدية الأيقونة- ص156

هي الروابط التشعبية التقنية التي يستخدمها الشاعر في إظهار صفة التفاعلية إظهارا حيويا، ويعنى المتلقي باستخدامها للكشف عن المعنى الفني التفاعلي الذي قصده الشاعر من جهة، ولأجل أن يكون هو قد تفاعل بصورة أو أخرى في معطيات النص الإبداعي.

والرابط (Link) ما يربط بين العقد، يتجلى في ضوء زر أو صورة أو أيقونة أو كلمة مُتَعنيّة تعيّنا خاصا، وعند تمرير المؤشر (Mouse) عليه يتحول إلى كفّ، أو يظهر أمامنا حقل يطلب منا النقر على المؤشر، وعلامة (Ctrl) في لوحة المفاتيح، وعند النقر تفتح لنا العقدة التي يحيل إليها وما تقرأه هو « عقدة » وما نبحر به في النص التفاعلي هي روابط تنقسم إلى قسمين تنظيمية ومرجعية [1].

وقد أسْمَت الباحثة بهيجة المصري إدلبي الروابط باسم الأيقونة، وقسمت الروابط إلى الأيقونة المنفذة، أيقونة المفتاح، أيقونة العودة الجزئية[2].

كما يرتكز العمق التقني في معطياته الالكترونية على وعي الشعر بالروابط التقنية وذكاء المتلقي في توظيفها، حتى يكون قارئا ومساهما في كتابة النص التفاعلي ولو بصور جزئية أولية، وهنا رأت فاطمة البريكي ضرورة الإحاطة بعملية توظيف الروابط التشعبية، والبعد عن البساطة والتقليد في التوظيف والفعل التفاعليين، ومما يؤخذ على هذه الروابط التي لم توظف

بطريقة جيدة « أنها في بعض الأحيان تميل إلى الصفحة ذاتها، مع أن فكرة الروابط تتعارض مع هذا، إذ أن النص يتشظى معها إلى عدة أجزاء، ليجد القارئ نفسه في كل مرة مع نص جديد مع كل رابط جديد، لا أن يجد نفسه يعود في كل مرة إلى النص نفسه... » [3].

ولما كانت الروابط التشعبية أيقونات مرقومة مؤطرة في فضاء الشاشة تؤدي وظائف بنائية وتركيبة في النص التفاعلي الشعري، وتظهر قوة حضورها في النص من خلال التعمق التقني الصرف في الوسائط التكنولوجية المؤدية إلى توسيع أدائها، وتعميق وظائفها في بنية النص، ما يفرض أن تكون اجتهادات الشاعر في إنتاج النص كاجتهادات المتلقي في قراءة النص، وهنا فإن تفاعل تقنيات الوعي الهندسي في علم الحاسوب مع الوعي الفني الشعري لدى الشاعر هي ما تبدع القصيدة التفاعلية، وإن حركية تلك الروابط عند القراءة تعمق في المتلقي انفتاحا ذهنيا لأجل استقبال النص والاجتهاد في تأويل معانيه، وفي إبداع نص جديد، هو مجلى ثقافة معولمة من جهة، ومجلى تفاعل حيوي لمعطيات علوم متعددة من جهة أخرى [4].

فضاء الشاشة:

هو المكوّن ذو الطابع المكاني للنص المعاين أولاً، والمقروء ثانيًا، الذي يستوعب مكونات النص التفاعلي وعناصرها وروابطها كلها، وحركتها فيه وعليه .

إن فضاء الشاشة هو التجلي الأحدث والأرقى الذي يتمظهر من خلاله الأدب التفاعلي، « لأنه نقله من مفهومه الخطي التدويني إلى المفهوم الصوري، لفهم النص المعاين» [5].

فالنّص إثره حسب سعيد يقطين : « النص بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة » [1].

---

[1] سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، ص216

[2] ينظر: عبد الله عفيفي: الإبداع التفاعلي العربي، الابحار في قلق الصمت و نحو نقد الكتروني تفاعلي على الرابط: www.alnakhlawaaljeeran.com

[3] فاطمة البريكي: الأدب والتكنولوجيا، ص136

[4] ينظر: رحمن غركان: القصيدة التفاعلية الرقمية والشعرية العربية، ص 90-91

[5] محمد سليم: الرقمية ومستقبل العناصر الأدبية، على الرابط: www.midouza.net

وبما أن القصيدة التفاعلية لا تصل إلى المتلقي إلا من خلال الشاشة وما تتطلبه هذه العملية من ترابط تقنيات وآليات لإنجاز هذا الإبداع الإلكتروني التفاعلي، فالشاشة إذن لا تبرز لنا النص المكتوب بقدر ما تعرض لنا النص المبرمج، الذي تنتقل صورته برامجيا من المكتوب إلى المعاين، « ربما ينتقل البصري فيه فاعلا بصريا ينتقل بالبصر إلى البصيرة، وبالرؤية إلى الرؤيا وبالحلم إلى الاستشراف »[2].

وعليه فإن القراءة هي عملية خطية عمودية، أما المعاينة وهي قراءة أخرى لأنها تعتمد الترحال الأفقي في جسد البنيات النصية، أو العقد عن طريق الروابط التي تجعلنا نتحرك في فضاء النص . «فالنص المعاين يتيح لنا خاصية الصوت والصورة على خلاف النص المقروء، الذي يمكن أن يصاحبه شريط صوتي، كما وجدنا في بعض التجارب الشعرية، لكننا كنّا في هذه الحالة أمام نصين شبه مستقلين عن بعضهما، أما مع النص المعاين فنجد الروابط التي تمكننا من الانتقال من الصوتي إلى الصوري بكيفية دينامية حية »[3].

لنقول أن الشاشة هي بوتقة الوعي التقني الذي يحرك الروابط والعقد باتجاه التفاعل، لإظهار نص إبداعي تفاعلي، فالشاشة في القصيدة التفاعلية هي مكوّن رئيسي وليست عارضا، لأنّ المكونات الأخرى لا تتفاعل إلا بفاعلية ممكنات الشاشة الاليكترونية، فالكلمة لا تفصح إلا من خلالها، والصورة لا تعبر إلا عبر تقنياتها، والصوت بأنواعه لا يصل إلا بعوارضه الصوتية، واللون لا يتضح إيقاعه أو تدرجات اللونية وسائر أشكال تفاعله إلا من خلالها، والحركة لا تعاين إلا على مساحتها ومن خلال أبعادها، والروابط التشعبية لا تشتغل موزعة الكترونيا وبوعي تقني فني إلا عليها، فهي المكون الحاضن المميز لشكل القصيدة التفاعلية.[4]

لنخلص أن الشاشة هي الوجه واللسان اللذان يفصحان عن القصيدة التفاعلية، وينشدانها ويبدعان في إلقائها، ومع التطور الحاصل في هذه التكنولوجيا ستغدو الشاشة

أكثر رحابة و اتساعا للأدب الرقمي، والقصيدة التي بدأت بالكلمة لا تقف عند فضاء الشاشة إنما تتسع من خلاله.

النص الورقي	النص في فضاء الشاشة
النص المقروء	النص المعاين
مكتوب	رقمي
سكوني	دينامي
القراءة	الابحار
الخطية	اللاخطية
البنيات والعلاقات	الروابط/ العقد

-جدول يوضح الفرق بين النص الورقي والنص والمعاين-[5]

وعلى نحو أكثر ايجاز، نستطيع تلمس الفارق المضموني والشكلي للأبعاد المرافقة لنظامي الكتابة الإبداعية بمستويها الرقمي والورقي:-

الأبعاد	النص الورقي	النص الرقمي

[1] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي- النص والسياق- المركز الثقافي العربي-، الدار البيضاء،ط2003،1،ص32

[2] رحمن غركان: القصيدة التفاعلية الرقمية والشعرية العربية، ص91

[3] المرجع نفسه

[4] ينظر :إ براهيم ملحم: الأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة، مجلة الإمارة، ع24، ابو ظبي، سبتمبر2014،ص16-17

[5] سعاد مسكين: النص المترابط ، على الرابط: www.presentation.youtoube.com

نمط الكتابة	خطي/تراتبي	متفرع / تراكمي
التلقي	تأويلي/ مقروء	تقني /مقروء
الفضاء	ثابت	متحرك
الصوت	-	+
الحركة	-	+
الصورة	خطية/ إدراك ذو اتجاه واحد	محسوسة/ إدراك تفاعلي

ونجد حسام الخطيب قد صنف ذلك وفق الجدول الآتي:[1]

النص السطري(مخطوط/ مطبوع)	النص المتفرع(الكتروني تفاعلي)
مقيد لسلطة السطر	غير مقيد لسلطة السطر
ذو البعد الواحد، بعد سطري	متحرك – متعدد الوسائط
جامد غير قابل للحركة	متطور في حالة تشكل افتراضيا غير محدد الشكل
يصعب التحكم في حجمه	يمكن التحكم في حجمه
متحرك شكليا العلاقة تعاقبية ذات بعد واحد	منفتح على النصوص العلاقة تزامنية ومفرّعة
مغلق شكليا على المتلقي	مفتوح لتصفح المتلقي وتداخلاته
مصور بمؤلف واحد مع احتمال الشراكة	تأليف فردي أوجماعي، مشاركة مفتوحة

-النص بين السطرية والرقمية ومعضلة المرجعية الداخلية-

خاتمة:

العالم الآن يعيش عالما رقميا بامتياز، وهذا التغيير مس جميع الميادين خاصة ما تعلق منها بالاتصال، فكانت اللغة الوعاء الحاضن لهذه التغيرات، هذه الأخيرة التي تعتبر ركيزة الأدب الأساسية، فبعد أن كان الورق مسرحا تؤدي فيه مختلف أدوارها، ها هو العالم الأزرق يغريها بإمكاناته اللامحدودة، وجند لها وسائط متعددة لتتفاعل سويا في رحب التقنية، وتشكل أعمالا إبداعية فريدة تتناغم فيها الفنون من رسم ونحت وموسيقى مع الكلمة لتنبأ بولادة النص الترابطي التفاعلي حتى يواكب تطورات العصر ويقدم نصا ثقافيا لا محدودا نصا هجينا يقوم على رؤى ذات أفق أوسع للوجود.

[1] حسام الخطيب: آفاق الابداع في عصر المعلوماتية، ط1، 2001،بيروت،ص57